هدى الثقلين

تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة الثانية/ المجلد الثاني/ العدد (٣)

شهر ذي الحجة ١٤٤٦هـ - حزيران ٢٠٢٥م

جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ
دِيوَانُ الوَقْفِ الشِّيعِيِّ
الأَمَانَةُ العَامَّةُ لِلْعَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِتَفْسِيرِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم) لِلْقُرْآنِ الكَرِيم

تَصْدُرُ عَنْ دَارِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

مُجَازَةٌ مِن وِزَارَةِ التَّعْلِيمِ العَالِيّ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

التَّرْقِيمُ الدَّوْلِي: ISSN:3005-415x

العِنْوَان: العِرَاق – كَرْبَلَاء المُقَدَّسَة – دَار القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

رَقْمُ الإِيدَاعِ فِي دَارِ الكُتُبِ والوَثَائِقِ العِرَاقِيَّةِ ٢٧١٥ لِسَنَةِ ٢٠٢٤م

لِلمَعْلُومَاتِ والاتِّصَال: ٠٧٧٣٥٣٠٠٨٣٥

البَرِيدُ الإِلِكْتُرُونِي:hudaalalthaqalein@gmail.com

تَسْتَقْبِلُ مَجَلَّةُ (هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ) البُحُوثَ الأَكَادِيمِيَّةَ الرَّصِينَةَ غَيرَ المَنْشُورَةِ، بِاللُّغَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ والإِنْكِلِيزِيَّةِ.

بطاقة الفهرسة

BP130 .A82 2024 VOL. 1 NO. 0

العتبة الحسينيَّة المقدَّسة (كربلاء، العراق) دار القرآن الكريم.

هَــدِي الثقلين: مجلَّة علميَّة نصف سنويَّة محكَّمة تُعنى بتفسير النبي وأهل بيته (صلوات اللَّه عليهم) للقرآن الكريم/ تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة – كربلاء، العراق: العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، دار القرآن الكريم، ٢٠٢٥م/ ١٤٤٦للهجرة.

مجلَّد: ٢٤سم – نِصف سَنويَّة، السَّنةُ الثَّانية، المُجَلَّد الثَّاني، العَدَد (٣)، شَهَرُ ذِي الحِجَّة ١٤٤٦هـ – حُزَيران ٢٠٢٥م.

(العتبة الحسينيَّة المقدَّسة؛ ١٣٥٧)، (دار القرآن الكريم).

يَتَضمَّن إرجاعات ببليوجرافية.

تصدر المجلة باللغتين العربيَّة والإنجليزيَّة.

١ .القرآن– تفسير الشيعة الإماميَّة– دوريات.

٢ .القرآن تفاسير مأثورة (الشيعة الإماميَّة)– دوريات.أ.العنوان.

تمَّت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة.

تَنْويهٌ:

الأَفْكَارُ وَالآرَاءُ الوَارِدَةُ فِي أَبْحَاثِ هَذِهِ المَجَلَّةِ تُعَبِّرُ عَن وِجْهَةِ نَظَرِ كُتَّابِهَا وَلَا تُعَبِّرُ بِالضَّرُورَةِ عَن وِجْهَةِ نَظَرِ العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ.

قصيدة تؤرخ فيها مجلة هدي الثقلين وهي مجلة علمية
نصف سنوية محكمة تعنى بتفسير النبي وأهل بيته
صلوات الله عليهم للقرآن الكريم، صدرت عن دار القرآن
الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

سِفرٌ جميلٌ وبهت مثل السنا ... عند الحسين في الطفوف صدرت
في طيها كل تفاسير الهنا ... وهي بقول الآل حقًا هدرت
آراؤها مزبورة فيها الغنى ... سلسلها العلم ومنه انتشرت
ميدانها الآي ومنها قددنا ... واستبقت باب الهدى إذ شمرت
من دار قرآن كريم يحونا ... بالخير والقول الجميل قد سرت
والليل ولى بل أصيب بالفنا ... أستاره قد مزقت وانذثرت
يا حسنها كل إليها أذعنا ... حين إليها كل عين نظرت
ها قد أناخت ركبها الغالي هنا ... فازدهرت أبوابها بل أثمرت
فاليوم عند السبط إذا أقصى المنى ... أرخ: هدى الثقلين صدرت

علي الصفار الكربلائي

١٤٤٤هـ

وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق
اليوم من
رحم الله من
أحيانا
الشعراوي

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: ١٨٤٣/٤٥٠
Date: ٢٠٢٤/٩/١٦

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة هدى الثقلين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم ذي الرقم ح٢٥١٤٩/٣٩ بتاريخ ٢٠٢٤/٤/٢٧ بشأن استحداث واعتماد مجلتكم لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وبعد استكمال الملاحظات الخاصة بضوابط الاستحداث بموجب كتابكم المرقم ح٤٧٧١٢/٣٩ في ٢٠٢٤/٨/٢٧، حصلت الموافقة بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى واعتباراً من المجلد الاول - العدد الاول - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٤ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده بأسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في اعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط الاستحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

ا.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٤/٩/١٢

نسخة منه الى:
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ اشارة الى موافقة سيادته بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على اصل مذكرتنا المرقمة ب ت م٦٧٩٢/٤ في ٢٠٢٤/٩/٨/ للتفضل بالاطلاع ...مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادره

مهند ابراهيم
١٠/ أيلول

رئيس التحرير

أ. د. هاشم جعفر حسين الموسوي

اللغة العربيَّة – اللغة والنحو

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/ العراق

مدير التحرير

م. د. عمَّار حسن عبد الزهرة/ اللغة العربيَّة – لسانيات

وزارة التربية/ مديريَّة تربية كربلاء/ العراق

مدقق النصوص العربية

د. عماد طالب موسى

مدقق النصوص الانكليزية

م.م إباء الدين حسام عباس

العلاقات والتنسيق والإعلام

الأستاذ علي فضيلة خضير الشمري

هيأة التحرير

م. د. الشيخ خير الدِّين علي الهادي

رئيس دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة/ العراق

اللغة العربيَّة – لسانيات

أ. د. حميد عبد جواد النَّجدي

رئيس جامعة أهل البيت عليهم السلام _ العراق.

أ.د. مكي محي عيدان الكلابي

اللغة العربية _ دلالة

جامعة كربلاء/ كلية التربية/ العراق

أ. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي

الفقة وأصوله

جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة/ العراق

أ. د. سامي ماضي إبراهيم الربيعي

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. لطيفة عبد الرسول عبد علي الضايف

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي
اللغة العربيَّة وآدابها _ أدب إسلامي
جامعة الكوفة – كليَّة التربيَّة الأساسيَّة/ العراق

أ. د. عبد الحميد مدكور
الأمين العام لمجمع اللغة العربيَّة في القاهرة
الفلسفة الإسلاميَّة/ جامعة القاهرة/ مصر

أ. د. عيسى علي عاكوب
عضو مجمع اللغة العربية/ دمشق- سوريا

أ. د. غازي مهدي جاسم الشمري
الفكر الإسلامي وتأريخ الحضارة العربية
جامعة وهران/ الجزائر

أ. د. محمد رضا ستود هنيا
علوم القران والحديث
كلية الإلهيات ومعارف أهل البيت عليهم السلام جامعة
أصفهان/ إيران

أ. م. د. محمَّد عبد الحسن كاطع
تاريخ الحضارة الإسلاميَّة
جامعة المصطفى العالميَّة/ فرع العراق

أ. م. د. سحر ناجي فاضل المشهدي
دلالة ونحو
الكليَّة التربويَّة المفتوحة في النجف الأشرف/ العراق

م. د. حيدر فاضل عباس العزاوي
اللغة العربيَّة_ لسانيات
وزارة التربية/ مديريَّة تربية كربلاء

التصميم والإخراج الفني
الحسن ميثم عزيز

قواعد النشر في المجلَّة:

تستقبل هديُ الثَّقلينِ البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:

١. يشترط في البحث أن يكون مكتوبًا على وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا .

٢. أن يكون البحث منسجمًا مع المجال المعرفي الذي ترعاه المجلة وتوجهها في نشر الأبحاث التي تختصُّ بتفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم .

٣. أن لا يكون البحث منشورًا في مجلَّة، أو مقدّمًا إلى أيَّة وسيلة نشر أخرى، أو مستلًّا من كتابٍ أو رسالةٍ جامعيَّة، أو محمَّلًا على الشبكة العنكبوتيَّة.

٤. أن يكون البحث مبتكرًا في موضوعه، يُعالج قضايا تفسيريَّة مُهِمَّة تتلاءم مع المعطيات المعاصرة للحاجات المعرفيَّة.

٥. يقدَّم البحث مطبوعًا على ورق A4، وبنسخةٍ إلكترونيَّة على قرص مدمج(CD)، أو يُرسل على البريد الإلكتروني، على أن لا يتجاوز ما هو متعارف عليه علميًّا بحدود (٥٠٠٠ – ١٠٠٠٠) كلمة، وبخط Simplified Arabic مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل.

٦. أن يحتوي البحث على ملخَّص باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة، مع مقدِّمة ومباحث ونتائج، وفهرس مفصَّل بالمصادر.

٧. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على اسم الباحث/ الباحثين، وعنوانه/ عناوينهم وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في مَتن البحث أو أي إشارة إلى ذلك .

٨. يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة خاصَّة بها عن قائمة المراجع والمصادر العربيَّة، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلَّات.

٩. تُطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة ويُشار في أسفل الشكل إلى مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

١٠. إرفاق نسخة من السيرة العلميَّة إذا كان الباحث ينشر في المجلَّة للمرَّة الأولى، وعليه أن يشير إلى اسم أيَّة جهة علميَّة، أو غير علميَّة قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١١. تخضع البحوث المقدَّمة للنشر لتدقيق نسب الانتحال في ضوء أحد البرامج المعتمدة، والأنظمة المقرَّة من لدن وزارة التعليم العراقيَّة.

١٢. تحتفظ هيأة التحرير بحقِّ حجب نشر البحث الذي لا ينسجم مع سياسة المجلَّة في نشر تفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم حصرًا، أو ما لا يتوافق مع منهج البحث العلميّ أو الموضوعيّ، أو ما فيه مسٌّ لجوهر العقائد الإسلاميَّة ورموزها الفكريَّة والدينيَّة .

١٣. تعبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيَّة صرفة.

١٤. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيَّتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أُقبِلَت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآليَّة الآتية:

أ- يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر.

ب- ثمَّ يُشعر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها بعد إخضاعها إلى تقييم سري من ذوي الاختصاص.

جـ- البحوث التي يرى المقوِّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة لكي يعملوا على التعديل في ضوئها، ثمَّ بعد ذلك تُرسل للنشر.

د- البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ- يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

١٥. ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلّة:

hudaalalthaqalein@gmail.com

أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقر المجلة على العنوان الآتي:

كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية – دار القرآن الكريم

سياسة النشر

تستقبل مجلَّة (هدي الثقلين) مشاركاتكم من الأبحاث الرصينة، والدِّراسات المبتكرة والبحوث العلميَّة الناتجة عن الندوات والمؤتمرات باللغتين العربيَّة والإنكليزيَّة؛ على وفق سياسة النشر الخاصَّة بها والمتمثِّلة بالآتي:

١- مجلَّة (هدي الثقلين) مجلَّة دورية مُحكَّمَة نصف سنوية.

٢- المجلَّة مختصَّة بنشر الأبحاث المختصَّة بتفسير النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

٣- تحتفظ المجلَّة بحقوق النشر والطبع كافَّة، وآراء المؤلِّفين الواردة جميعًا في البحث أو المادة العلميَّة تعبِّر عن وجهة نظرهم، ولا تُعَدُّ المجلَّة مسؤولة عنها بالضرورة؛ استنادًا لمبدأ استقلاليَّة الرأي.

٤- المجلَّة غير ملزمة بردِّ أصول البحوث سواء نشرت أم لم تنشر، وفي حال سحب البحث من لدن الباحث فعليه الالتزام بردِّ تكاليف التحكيم وتكاليف برنامج الانتحال.

٥- أولويَّة نشر البحوث بحسب أسبقيَّة الحصول على قبول النشر، ويستثنى من ذلك البحوث ذات السبق العلميّ والمادَّة المبتكرة بعد ترشيح من هيأة التحرير.

٦- يشترط بالمادة العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة، أن لا تكون قد سبق نشرها في مجلَّة أو دوريَّة أو مؤتمر علميّ، بتعهد يقدِّمه الباحث، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة وتكاليف التحكيم وبرنامج الاستلال كافَّة.

٧- يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه أو مادَّته العلميَّة إلى أيِّ جهةٍ أخرى لغرض النشر، حتَّى يصله رد المجلَّة بصلاحيَّة بحثه أو مادَّته العلميَّة للنشر من عدمه بمدَّة لا تتجاوز ثلاثين يومًا من تاريخ استلام المجلَّة للبحث أو المادَّة العلميَّة، وبخلافه تحتفظ المجلَّة بحقوقها القانونيَّة والماليَّة كافَّة.

٨- يتعيَّن على الباحث أن يلتزم بشروط النشر المتاح على موقع المجلَّة الإلكتروني الرسمي، ويتعهد بأنَّه قد اطَّلع عليها.

٩- يجب على الباحث مراعاة الأمانة العلميَّة في البحث العلميّ والدراسة الأكاديميَّة، وفي مقدِّمتها أخلاقيَّات البحث العلميِّ وبنود لجنة أخلاقيات النشر (Committee On Publication Ethics) مثال ذلك، توثيق المراجع والمصادر والنصوص القانونيَّة والعلميَّة، ومراعاة الموضوعيَّة والمنهجيَّة في الكتابة، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والإداريَّة والماليَّة الكاملة عن أيِّ انتهاك أو تجاوز لهذه الأخلاقيَّات طبقًا للقوانين والتعليمات الوطنيَّة أو الدَّوليَّة، ومنها قانون حماية المؤلِّف رقم (٣) لسنة ١٩٧١.

١٠- تخضع جميع البحوث العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة لتدقيق نسبة الانتحال (Plagiarism) ضمانًا لعدم نشر البحوث مسروقة النَّصِّ جزئيًّا أو كليًّا، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والماليَّة والإداريَّة الكاملة.

١١- تخضع المادَّة العلميَّة التي تنشرها المجلَّة للتحكيم الشفاف والمراجعة العلميَّة المتخصِّصة (Peer-reviewed process) فضلًا عن التدقيق اللغوي (للغة العربية واللغة الإنكليزية)، ويكون للمجلَّة صلاحيَّة الموافقة على النشر فيها من عدمه؛ استنادًا إلى الآراء الأوليَّة لهيأة تحرير المجلَّة أو آراء المحكِّمين المتخصِّصين.

١٢- يقدِّم الباحث مع البحث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها موجزًا بالسيرة العلميَّة للباحث (نبذة تعريفية) مع بريده الإلكتروني الرسمي الذي ينتهي بامتداد (edu.iq) بالنسبة للسادة الباحثين العراقيين أو البريد الشخصي للباحث مع رقم الهاتف.

١٣- يُمنح كلُّ باحثٍ نسخة ورقيَّة من العدد المنشور فيه بحثه، ولا تتحمَّل المجلَّة أجور إرسال النسخة الورقيَّة للباحث.

١٤- تعمل المجلَّة على وفق آليَّة النشر المفتوح وسياسته (Open Access).

١٥- تلتزم المجلَّة بمنح الباحث قبول النشر حين استكمال جميع المتطلَّبات الخاصَّة بالنشر من قبيل استكمال ملاحظات المحكِّمين والتعهد وغير ذلك.

١٦- تستقبل المجلَّة البحوث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها بالطرق الإلكترونيَّة، ووسائل التواصل الخاصَّة برقم المجلَّة مثل الواتساب والتليكرام المتاحين على الموقع الرسمي للمجلَّة، أو يسلِّمها الباحث بصورةٍ شخصيَّة .

عن أمير البلاغة

المُحتَوَيات

ص	عَنوَانُ البَحث	اسمُ البَاحِث
٢٧	دَلَالةُ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى فِي القُرْآنِ الكَرِيم بينَ المَعْنَى اللُغــوِيِّ وَمَروِيَّاتِ أَهْلِ البَيْت عليهم السلام	أ.د. عِصَام كَاظم الغَالِبيّ كُليَّة التَّربية الأَسَاسِيَّة/ جَامِعَة الكُوفَة
٦٣	دِرَاسَةٌ فِي المَنْهَجِ الرِّوَائِيِّ لأَواخِرِ آيَاتِ سُورَةِ الفُرْقَان ٦٣-٧٧	أ. د. سَنَاء هَادِي عَبَّاس كُليَّة التَّربِيَة الأَسَاسِيَّة/ الجَامِــعَة المُسْتَنصِرِيَّة
٨٥	اقْتِبَاسَاتٌ مِنَ الهَدْيِ النَّبَوِيِّ وَقَطَرَاتٌ مِنَ البَحْرِ الزَّخَّارِ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيم	م. د. مُسْلِم شَاكِر جَبُر جَامِعَةُ الإِمَام الصَّادِق عليه السلام / فَرْع المُثَنَى
١١٥	مَضَامِينُ السَّرْدِ القُرْآنِيِّ فِي رِوَايَاتِ الأَئِمَّة المَعْصُومِينَ عليهم السلام	أ.م. د. حَمِيد فَرَج عِيسَى أ.م.د. رَحِيق صَالِح فِنْجَان كُليَّة التَّربية للعُلُوم الإِنسَانِيَّة / جَامِعَة ذِي قَار

١٤١

النُّبوَّةُ والإمَامَةُ في القُرْآنِ الكَرِيمِ
مِن مَنْظُورِ أَهْلِ البَيتِ عليهم السلام

أ. م. صَبَاح مُحَمَّد حُسَين
البَاحِث: السَّيِّد فَاضِل حَاتَم المُوسَوِي
كُلِيَّة العُلُوم الإِسْلَامِيَّة / جَامِعَة دِيَالَى

١٧٥

جَدَلِيَّةُ نِسْبَةِ المَصَاحِفِ المَخْطُوطَةِ إِلَى
الإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

د. أَحْمَد جَاسِم النَّجَفِيّ
كُلِّيَّة التَّربِيَة الأَسَاسِيَّة/ جَامِعَة الكُوفَة

٢١١

التَّصْنِيفُ التَّقَابُلِيُّ لِعُلُومِ القُرْآنِ الكَرِيمِ عِنْدَ
الإِمَامِ عَلِيّ بن أَبِي طَالِب عليه السلام
التَّصْنِيف بِحَسَبِ العَامِّ وَالخَاصِّ أَنْمُوذَجًا

م.د. لَيث عَبْد الحُسَين فَرْحَان العَتَّابِيُّ
كُلِيَة الفِقه / جَامِعَة الكُوفَة

٢٤٧

لُبُّ اللُّبَاب في تَفْسِيرِ القُرْآنِ بالقُرْآنِ
عَن أَهلِ البَيتِ عليهم السلام

د. زَهْرَاء عَلِي دخِيل
الجَامِعَة اللُّبْنَانِيَّة

٢٨٣

مَفْهُومُ الوَحِي في مَنْظُورِهِ العَامِّ
عِنْدَ أَهْلِ البَيتِ عليهم السلام/ دِرَاسَةٌ تَفْصِيلِيَّة

م. م. رَعَد هَاشم مَشْحُوف الأسَدي
المُدِيرِيَّة العَامَّة لِلتَّرْبِيَة فِي مُحَافَظَةِ ذِي قَار

النُّبوَّةُ والإمَامَةُ في القُرْآنِ الكَرِيمِ
مِن مَنْظُورِ أَهْلِ البَيتِ عليهم السلام

أ. م. صَبَاح مُحَمَّد حُسَين

البَاحِث: السَّيِّد فَاضِل حَاتَم المُوسَوِي

كُليَّة العُلُوم الإِسْلَاميَّة / جَامِعَة دِيَالَى

Prophethood and Imamate in the Holy Qur'an from the Perspective of Ahl al-Bayt (peace be upon them)

Asst. Prof. Sabah Muhammad Hussein
Researcher: Sayyid Fadel Hatim Al-Mousawi

College of Islamic Sciences / University of Diyala

الملخَّصُ:

البحثُ في مسألتَي النبوَّةِ والإمامةِ من الأبحاث المهمَّة في عقيدة المسلم بعد بحثِ التوحيد، ويُعدَّان من الأعمدةِ الأساس التي قامت عليها منظومةُ الفكرِ الإسلامِي، فالنبوَّةُ مقامٌ إلهيٌّ اختاره الله لمن خبرهم، فكانوا أهلًا لهذا المقام، فجعلهم الله أسبابًا للهداية والرَّشاد ودعاةً إلى سبيلِه بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة؛ لكي يتحقَّق الهدف الإلهي الذي هو العبوديَّة لله تعالى وحده؛ ولذلك أسند إلى رسوله محمَّد صلى الله عليه وآله وإلى بعض الرُّسل السَّابقين مرتبةً من الولايةِ على الأمَّة، وهي الإمامة، وقد أمر الله بطاعتهم، فإنَّ طاعتهم طاعة الله وولايتهم ولاية الله. والإمامة صنو النبوَّة والجزء المكمِّل لذلك المنهج الإلهي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد: ٧] فالإنذارُ وظيفةُ النبيِّ والهدايةُ وظيفةُ الإمام، فالنبوَّةُ والإمامةُ بينهما حالة تلازم تكامليَّة؛ أي: ما بدأت به النبوَّة تُكمله الإمامة، فالعلاقة بينهما منذ أنْ كانا نورًا واحدًا في علم الله، فشطرَ ذلك النورَ إلى نورِ النبوَّةِ فتجلَّى في عبدِ الله عليه السلام ليكون النَّبيَّ محمَّدًا صلى الله عليه وآله، وتجلَّى نورُ الإمامةِ في أبي طالب ليكون نورَ الإمامِ عليّ عليه السلام.

الكلماتُ المفتاحيَّة: النبوَّةُ، الإمامةُ، أهلُ البيت عليهم السلام

Abstract:

The study of the issues of prophethood and imamate is among the important subjects in the creed of a Muslim after the subject of monotheism. They are considered among the foundational pillars upon which the structure of Islamic thought is established. Prophethood is a divine station chosen by Allah for those He tested and found worthy of this position, so He made them means of guidance and righteousness and callers to His path with wisdom and good exhortation, in order to achieve the divine objective, which is servitude to Allah Almighty alone. Therefore, He entrusted to His Messenger Muhammad (peace be upon him) and to some of the previous messengers a level of authority over the nation, which is the imamate, and He commanded obedience to them, for obeying them is obeying Allah, and their authority is the authority of Allah. The imamate is the counterpart of prophethood and the complementary part of that divine path. Allah the Exalted said: ﴿You are only a warner, and for every people is a guide﴾ [Surah Ar-Ra'd: 7]. So, warning is the function of the prophet, and guidance is the function of the imam. There is a complementary connection between prophethood and imamate—what prophethood begins is completed by imamate. The relationship between them has existed since they were one light in the knowledge of Allah, and He divided that light into the light of prophethood which manifested in Abdullah (peace be upon him) to become the Prophet Muhammad (peace be upon him), and the light of imamate which manifested in Abu Talib to become the light of Imam Ali (peace be upon him).

Keywords: Prophethood, Imamate, Ahl al-Bayt (peace be upon them)

المقدِّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على رسول اللَّه الأمين محمَّد وآله الطيِّبين الطَّاهرين وأصحابه المنتجبين، وبعد..

فيأتي البحث في مسألتي النبوَّة والإمامة من الأبحاث المهمَّة في عقيدة المسلم بعد بحث التوحيد؛ لذا عندما نظرت إلى المحاور البحثيَّة للمؤتمر اخترت هذا المحور عنوانًا لبحثي هذا، فلقد ثبت لدينا بالنصِّ أنَّ ما من شيء إلَّا ونجده في القرآن الكريم بوصفه دستور السَّماء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل:٨٩]، ويقول الإمام محمَّد الباقر عليه السلام: ((إنَّ اللَّهَ لَمْ يَدَعْ شَيْئًا تَحْتاجُ إلَيْهِ الأُمَّةُ إلَّا أَنْزَلَهُ في كتابِهِ، وَبَيَّنَهُ لِرَسُولِهِ وجَعَلَ لِكُلِّ شيءٍ حَدًّا، وَجَعَلَ عَلَيْهِ دَلِيْلًا))[1].

إنَّ اللَّه تعالى عندما خلق الإنسان جعله سويًّا؛ أكمل فيه كلَّ ما أراد وشاء تعالى، وأعطاه من الإمكانيَّات ما جعله مؤهَّلًا أنْ يقوم بوظيفة الخلافة الإلهيَّة على هذه الأرض قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]، والملاحظ في النصِّ أنَّ الجعليَّة هنا إلهيَّة، فلا مناص من أنَّها جعليَّة مدركة لحقيقة هذا الإنسان حتَّى يكون بهذا المقام ولا مجال للخطأ، فحاشا لله أنْ يختلجه الخطأ تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ولكن لم يستقم الإنسان في سلوكه تجاه خالقه حتَّى بدت سمة التمرُّد هي الصورة التي ترافقه، وزيادة في التكريم بعث اللَّه أنبياء ينذروه، وأولياء يحملون مشعل الهداية للإنسان الذي ابتعدت به ظلمات الضَّلال عن الرَّشاد والوصول إلى ربِّ العباد.

---

(١) الكافي: ١ / ٥٩.

فالنبوَّة مقام إلهيّ اختاره اللَّه لمن خبرهم، فكانوا أهلًا لهذا المقام؛ لذا لم نجد نبيًّا اختاره اللَّه قد تراجع عن منهجه أبدًا؛ لأنَّ ذلك الاختيار من عليم مقتدر فلا مجال للخطأ فيه، ولنا اعتقاد أنَّ جميع الأنبياء ممَّن نصَّ عليهم القرآن الكريم هم رسل من اللَّه تعالى، بعثهم ليدعوا بني الإنسان إلى عبادته، والأنبياء معصومون عن الخطأ والزَّلل، فلا عبرة بأن ينذروا الناس وهم يواقعون ما لا يرضي اللَّه تعالى؛ جعلهم اللَّه أسبابًا للهداية والرشاد ودعاة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنَّ عليهم بذل ما بوسعهم من أجل إنقاذ الناس من ظُلمات الضَّلال والانتقال بهم إلى نور الهداية.

فلم يترك اللَّه تعالى الأرض من دون حجَّة يرشد عباده إلى الحقِّ، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((إنَّ جبرئيل نزل على محمَّدٍ يخبره عن ربِّه فقال: إنَّ اللَّه يقول: يا محمَّد، إنِّي لم أترك الأرض إلَّا وفيها عالم يعرف طاعتي وهدايتي، ويكون نجاة فيما بين قبض النبيّ إلى خروج النبيّ الآخر))[1].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد:٢٥]، إنَّ النصَّ القرآني يُبيِّن لنا وبوضوح أنَّ الإنسان فُطِر على حاجته إلى لعدل، والمراد به هو تحقُّق حالة من العدالة في كلِّ جزء من حياته، الذي لا يتمُّ إلَّا بوجود قانون إلهيٍّ يحفظ كيان الإنسان من التعدِّي عليه بأيِّ صورة من الصور، وينظِّم طبيعة تعاملاته مع أبناء مجتمعه؛ لأنَّه لا يمكن له أن يعيش بمعزلٍ عن أبناء جنسه، وفي خضمِّ الحياة وما تنطوي عليه النفس الإنسانيَّة قد يتعرَّض إلى حالة من الاختلاف والتنازع، فكان لابدَّ من وجود ذلك القانون الإلهي

(١) دلائل الإمامة: ٢٣٢.

الذي يذلِّل تلك المشاكل، ويضع الحلول عبر مجموعة من الأشخاص انتجبهم اللَّه وعصمهم من الخطأ والزَّلل، وعُرفوا بين أقوامهم بالسلوك الصالح، وكانوا هم أنبياء اللَّه في أقوامهم يقومون بتحقيق ذلك القانون؛ لإبعاد المجتمعات البشريَّة عن الصراعات، والأخذ بها إلى الهداية والصلاح.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء:٦٤]، ويذكرُ في موضعٍ آخر بعض أنبيائه بالاسم الذي نصَّبهم للحكم فيه، فيقول: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[الأنبياء:٧٣]، فاللَّه تعالى قد أرسل أنبياءه؛ لبيان أحكامه وإجرائها على الأرض؛ ولكي يتحقَّق الهدف الإلهيّ الذي هو العبوديَّة لله تعالى وحده؛ ولذلك فوَّض إلى رسوله محمَّد صلى الله عليه وآله وإلى بعض الرسل السابقين مرتبةً من الولاية على الأمَّة، وهي الإمامة؛ لسوقها إلى اللَّه، والحكم فيها، والقضاء في جميع شؤونها، وقد أمر اللَّه بطاعتهم؛ لأنَّ ولايتهم ترجع إلى ولاية اللَّه بالولاية التشريعيَّة، فإنَّ طاعتهم طاعة اللَّه، وولايتهم ولاية اللَّه.

وتعدُّ الإمامة صنو النبوَّة والجزء المكمِّل لذلك المنهج الإلهيّ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:٧]، فالإنذارُ وظيفة النَّبيِّ والهدايةُ وظيفةُ الإمام، فعن بريد بن معاوية العجلي، قال: ((قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام ما معنى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؟ فقال: المُنذِرُ: رسول اللَّه صلى الله عليه وآله، وعليٌّ عليه السلام: الهادي، وفي كلِّ وقتٍ وزمانٍ إمام منَّا يهديهم إلى ما جاء به رسول اللَّه صلى الله عليه وآله))[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤]، نلحظ نقطتين محوريَّتين في مسألة الإمامة:

(١) كمال الدين وإتمام النعمة: ٤٨٤.

الأولى: الجعليَّة الإلهيَّة، وهذا فيه دلالة واضحة على أنَّ الإمامة مقام تنصيب من لدن اللَّه تعالى لا يمكن أنْ يتسنَّمه أي شخص ادَّعى لنفسه ذلك، فعن الإمام جعفر بن محمَّد الصَّادق عليه السلام: ((أترون أنَّ الوصيَّ منَّا يوصي إلى من يريد؟ لا، ولكنَّه عهدٌ من اللَّه ورسوله لرجلٍ فرجلٍ، حتَّى ينتهي الأمر إلى صاحبه))[1].

الثانية: إنّ من أساسيّات منصب الإمامة هو اجتياز الاختبار الإلهيّ بنجاح، وهو ما عبَّرَ عنه قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى﴾ فالابتلاء كما في النَّصِّ مقامٌ سابقٌ لمنصب الإمامة، وكان حقُّه التأخيرُ في الأئمة عليهم السلام لو أردنا أنْ نطبِّقَ الآية عليهم، إلَّا إنَّنا نعتقد أنّ ذلك كائن في علم اللَّه تعالى، فالابتلاء متحقِّقٌ لا محال، واللَّه يعلم نتيجته؛ لذا ترتبت النتيجة عليه وهو النَّصُّ عليهم بالإمامة، وأنّ سيرة الأئمَّة على الرغم ممَّا تعرَّضت له من تحريفٍ وتزييفٍ تُظهِرُ لنا حجم الابتلاء الذي تعرَّض له الأئمَّة عليهم السلام وقتَ إمامتهم، وعلى جميع الأبعاد من قبل القريب والبعيد، وتبقى واقعة الطفِّ شاخصةً على مرّ التاريخ تروي لنا ذلك الواقع المؤلم الذي تعرَّض له الأئمَّة عليهم السلام وكان شعارهم: ((إلهي إن كان هذا يرضيك فخذ حتَّى ترضى))[2].

إنّ الإمامة والنُّبوَّة صنوان لا يفترقان، هكذا كان عنوان الملتقى العلمي الدولي الأوَّل الذي أقامته وأشرفت عليه الأمانة العامّة للعتبة العبَّاسيَّة المباركة، والصنو: هو قرين الشيء وملازمه؛ فالنبوة والإمامة بينهما حالة تلازم تكامليَّة؛ أي: ما بدأت به النبوَّة تكمِّلهُ الإمامة، فالعلاقة بينهما منذ أنْ كانا نورًا واحدًا في علم اللَّه، فشطر اللَّهُ ذلك النور إلى نور النبوَّة، فتجلَّى في عبد اللَّه عليه السلام، ليكون النَّبيَّ محمدًا صلى الله عليه وآله، وتجلَّى نورُ الإمامةِ في أبي طالبٍ ليكون الإمامَ عليًّا عليه السلام.

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية: ٣١٢.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام: ١٨٩.

التمهيد: مفهوم النبوَّة والإمامة لغةً واصطلاحًا

أوَّلًا: مفهوم النبوَّة لغة واصطلاحا:

في اللغة: ((من النبأ: وهو الخبر، ويقال: أنبأه إيَّاه به؛ أي: أخبره، والنبيُّ هو المُخبِر عن اللَّه سبحانه تعالى وتُجمَع أنبياء وأنباء))[1]، و((يقال: أنبأتُ عَن الشَّيْءَ أُنبيء إنباءً، إذا أخبرتَ عَنهُ، وأنَّ اشتقاق النبيَّ من النَّبْو، وَهُوَ العُلُوّ والارتفاع))[2]، و((قيل: إنَّ لفلان نَبَأً؛ أي: خبرًا وقوله عز وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[النبأ:١-٢] قيل: عن القرآن، وقيل: عن البَعْث، وقيل: عن أَمْرِ النبيِّ صلى الله عليه وآله، وَقد أَنْبَأَه إيَّاه ربَّه))[3]، فإذا كانت كلمة النبوَّة مشتقَّة من (النبو) دلَّت على تفضيل النبيِّ على سائر الناس برَفْع منزلته؛ لأنَّ النبوَّةَ: الارتفاعُ.

اصطلاحًا: إنَّ النبوَّة مصطلح فيه إشارة إلى مقام إلهيٍّ في ضمن دائرة محدودة لمجموعة من الناس، والنبوَّة مقامُ اختيار وإرسالٍ من لدن اللَّه تعالى لمؤهِّلات اللَّه أعلم بها؛ إذ يبعثهم اللَّه إلى الناس لأجل الإرشاد والنُّصح والإصلاح.

وتعدُّ النبوَّة الأصل الثاني بعد التوحيد من الأصول العامَّة للدين الإسلاميّ للمسلمين عامَّة، وهي الأصل الثالث من بين الأصول الخمسة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. ويمكن أنْ نعرِّف النبوَّة بأنَّها: ((سفارة بين اللَّه وبين ذوي العقول من عباده؛ لإزاحة علَّتهم في أمر معادهم ومعاشهم))[4].

وبذلك يمكن أنْ نعرِّف النبيَّ بأنَّه: ((الإنسان المأمور من السَّماء بإصلاح أحوال الناس في معاشهم ومعادهم العالِم بكيفيَّة ذلك، المستغني في علومه، وأمره من السَّماء لا عن واسطة البشر، المقترنة دعواه للنبوَّة

(١) العين: ٨ / ٣٨٢.

(٢) جمهرة اللغة: ٢ / ١٠٢٨.

(٣) لسان العرب: ٦ / ٤٣١٥.

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١/ ٥٠١.

بأمور خارقة للعادة))[١]، ((فالنبيُّ وفقًا لما سبق هو ذلك الإنسان الكامل المخبر عن اللَّه تعالى بوساطة الوحي؛ إذ الوحي مختصٌّ بالأنبياء، وهو نوع رابطة وقعت بينه وبين أنبيائه))[٢].

ثانيًا: مفهوم الإمامة لغةً واصطلاحًا:

لغةً: الإمامةُ من الأَمّ، وهو ((القصد المستقيم والتوجُّه نحو المقصود))[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾[المائدة:٢]، ومن معانيها أيضًا ((التقدُّم، فيقال: أمَّ القوم وأمَّ بهم؛ أي: تقدَّمهم وصار لهم إمامًا))[٤].

اصطلاحًا: من تعريفات الإمامة: ((إنَّها الإمامة المنصوصة من لدن اللَّه تعالى، بمعنى خلافة النبيِّ صلى الله عليه وآله ووصايته من اللَّه سبحانه وتعالى، وهم خصوص الأئمَّة الاثني عشر عليهم السلام، وقال آخرون: هي الحاكميَّة وولاية الأمر. وأنَّ إطلاق مصطلح الإمامة بلا قيد يؤدِّي بنا إلى صرف المعنى إلى الإمامة العظمى والولاية الكبرى، وهو الإمام المعصوم عليه السلام الذي نُصِّب من اللَّه تعالى إمامًا، وقدوة للنَّاس، وطاعته مفترضة على العباد كافَّة))[٥].

إنَّ الإمامة في الواقع تمثِّل القيادة الحقَّة للمجتمع الإسلاميِّ والخلافةَ الشرعيَّة لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله في شؤون المسلمين الدينيَّة والدنيويَّة، وهي أحد الأصول العقديَّة لمذهب أهل البيت عليهم السلام، بل هي أحد أهم محاور الخلاف بين مذهب أهل البيت عليهم السلام والمذاهب الأخرى؛ حتَّى عُرِفَ بهذه السمة فأُطلِق عليهم (الإماميَّةُ الاثنا عشريَّة).

---

(١) قواعد المرام: ١٢٢.

(٢) بداية المعارف الإلهيَّة في شرح عقائد الإماميَّة: ١ / ٢١١.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١ / ٨٧.

(٤) العين: ٨ / ٤٢٩.

(٥) موسوعة الفقه الإسلامي: ١٤/ ٥٠٩.

المبحث الأوَّل: النبوَّة في القرآن الكريم من منظور أهل البيت عليهم السلام

اتَّفقَ المسلمون بجميع فِرقهم وتوجُّهاتهم على أنَّ النبوَّة أصلٌ من أصول الدِّين، مع وجود بعض الاختلافات التي تميَّزت بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن المدارس الأُخر، بأنَّها تُعطي للنَّبيِّ مقامهُ الحقيقيّ، فيتنزَّهُ عن كلِّ رجس نجس، في حين نرى أنَّ بعضَ الفرق تنسب إلى النَّبيِّ كثيرًا من الأفعال التي لا تليق بالإنسان المؤمن، فكيف الأمر إن كان نبيًّا مرسلًا من اللَّه!، وفي هذا المبحث سأُبيِّن ما يحيط بهذا الأصل من منظار أهل البيت عليهم السلام، ويكون ذلك في محاور أذكرها على النحو الآتي:

المحور الأوَّل/ الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام:

خلق اللَّه تعالى الإنسان وكان الهدف من خلقه أن يوصله إلى تلك الحقيقة التي أرادها تعالى والتي كانت علَّة خلقه، والإنسان بطبعه مكوَّن من عنصرين؛ ماديٌّ جسمانيٌّ ومعنويٌّ روحانيّ، وتشكُّله من هذين المحورين جعل منه ساحة صراع محتدمة دائمًا وفي معركةٍ مستمرَّة؛ لذا عندما يتغلَّبُ الجانب الماديّ نجده ينزوي بعيدًا عن الغاية التي خُلق من أجلها، فتكون رؤيته مشوَّشةً، والحقيقةُ غير واضحةٍ ولأجل هذا الضعف الذي ألمَّ بالإنسان أخذ اللَّه على نفسه توفير أسباب الهداية له، ومنها أن يرسل له أنبياء ورسلًا؛ لأجل الإنذار، والتذكير بتلك الحقائق الكامنة في نفس الإنسان.

ويبيِّن لنا الإمام الصادق عليه السلام الحكمة من بعثة الأنبياء، وقد سأله رجل فقال: ((لأيِّ شيء بعث اللَّه الأنبياء والرسل إلى الناس؟ فقال عليه السلام: لئلَّا يكون للناس على اللَّه حجَّة بعد الرسل، ولئلَّا يقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذير، ولتكون حجَّة اللَّه عليهم))[1]. فلو لم يرسل اللَّه أنبياء ورسلًا مبشِّرين

(١) بحار الأنوار: ١١/ ٣٩.

فإنّ ذلك سيكون منافيًا للغرض الذي خُلِقَ الإنسان من أجله، وهو إيصال الإنسان إلى رضاه والتكامل، فكانت بعثةُ الأنبياء بذلك أمرًا واجبًا عقلًا، فلا يترك تعالى سبيلًا للحجَّة عليه من خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[طه:١٣٤].

وفي خطبةٍ للإمام عليٍّ عليه السلام يذكر فيها خلق آدم عليه السلام؛ فيبيِّن الحكمة من بعثة الأنبياء فيقول: ((وأهبطه إلى دار البليَّة، وتناسل الذريَّة، واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذَ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرِّسالة أمانتهم لمَّا بدَّل أكثر خلقه عهد اللّه إليهم، فجهلوا حقَّه، واتَّخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعثَ فيهم رُسُلَهُ، وَواترَ إليهم أنبياءه؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيَّ نعمته، ويحتجُّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدَّرة))[1]، فنلحظ من كلماته عليه السلام حال الصراع التي يعيشها الإنسان مع الشياطين، والشيطان: هو تعبير عن كلِّ ما يُبعِّدُ الإنسان عن اللَّه تعالى، فالشيطانُ يسعى جاهدًا إلى إبعاد الإنسان عن معرفة اللَّه تعالى، فكانت بعثة الأنبياء أحد السُّبل والألطاف الإلهيَّة التي تعين الإنسان في البقاء على سبيله، ولا يتعرَّض إلى التشتُّت والضَّياع عن الهدف الذي خُلِقَ من أجله. وفي جواب الإمام الصادق عليه السلام لزنديق سأله: كيف يُثبتُ أنَّ لله أنبياء ورسلًا؛ أي: بيانُ الحكمة من جعل الأنبياء والرسل، كان ردُّ الإمام الصادق عليه السلام شافيًا وافيًا، فقال: ((إنَّا لمَّا أثبتنا أنَّ لنا خالقًا صانعًا متعاليًا عنَّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيمًا، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، ولا يباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجُّوه، فثبتَ أنَّ له سفراء في خلقه يدلُّونهم على مصالحهم

(١) نهج البلاغة: ٢٣.

ومنافعهم، وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم، فثبتَ الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أنَّ له معبِّرينَ وهم الأنبياء))[1].

ولذا نلحظ أنَّ اللَّه تعالى ركَّز على بعثة الأنبياء والرُّسل، فجعل في كلِّ أمَّة نبيًّا، وفي كلِّ قوم نبيًّا، وفي كلِّ جماعة نبيًّا، وهذا يدلُّ على أهمِّيَّة تلك البعثة فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾[النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[العنكبوت:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[الأعراف:٦٥]، فهذه الآيات وغيرها ممَّا يضيق المقام عن ذكرها كلِّها بيانات تُثبِتُ ما لبعثة الأنبياء من الأهميَّة الكبيرة؛ لذا نالت منه تعالى ذلك التركيز.

ويُبيِّنُ الإمام الرضا عليه السلام الحكمة من لزوم معرفة النبيِّ ووجوب طاعته، فيقول: ((فإن قال: فلِمَ وجبَ عليهم معرفة الرُّسل، والإقرار بهم، والإذعان لهم بالطَّاعة؟ قيل: لأنَّه لمَّا لم يكن في خلقتهم وقواهم ما يكملوا المصالحهم، وكان الصَّانع متعاليًا عن أن يُرَى، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهرًا، لم يكن بدٌّ من رسولٍ بينه وبينهم، معصوم، يؤدِّي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم، ودفع مضارِّهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه، منافعهم ومضارَّهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته، لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سدّ حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثًا لغير منفعة وصلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كلَّ شيء))[2].

(١) بحار الأنوار: ١١/ ٢٩-٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ١١/ ٤٠.

المحور الثاني: خصائص النبوَّة:

عندما يختار اللَّه تعالى من عباده نبيًّا لابدَّ من أن يكون له من الخصائص والمميِّزات ما تؤهِّله لتستُّم هذا المقام، وهذا المقدار من الاستعداد هو في علم اللَّه تعالى كمرحلة أولى، ومنطبقٌ في حياة النَّبيِّ منذ الوهلة الأولى، فاللَّه تعالى كفيل بأن يهيِّئ له كلَّ الأسباب كمرحلة ثانية، وهناك خصائص لمن لبس رداء النبوَّة كان لابدَّ من أنْ تكون متحقِّقة بما ينماز بها عن غيره، ومن أهمِّها:

أوَّلًا: أن يتَّسِم بصفة الكمال العقليّ، وكلِّ صفةٍ تؤهِّله لإدارة شؤون العباد والبلاد، كالشجاعة والصبر والكرم والخُلُق الحسن والإدارة الجيِّدة ورجاحة العقل، فلا بدَّ من أنْ يتَّصفَ بكمال عقله، قياسًا بمن حوله، وأن يكون بمقام القدوة في كلِّ شيء، فعن أبي عبد اللَّه عن أبيه محمَّد بن خالد بإسناده، يرفعه قال: ((قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: قُسِّمَ العقل على ثلاثة أجزاء، فمن كانت فيه كمل عقله، ومن لم تكن فيه فلا عقل له: حُسنُ المعرفة باللَّه عزَّ وجلَّ، وحُسنُ الطاعة له، وحُسنُ البصيرة على أمره))[1]. والمتتبِّعُ لسيرة أنبياء اللَّه يجدهم الأحسن معرفة باللَّه، والأحسن طاعة له وبصيرة، فلا يضاهيهم في ذلك غيرهم؛ فهم محلُّ اختيار اللَّه تعالى.

ثانيًا: أنْ يكون مُوحى إليه؛ فاللَّه تعالى عندما يختار إنسانًا ويجعل منه وسيطًا بينه وبين خلقه فلابدَّ من سبيل للاتِّصال به؛ لكي يوصِلَ له بنود تلك الرسالة التي يريد أن يبلِّغها لعباده، ويُمكِنُ لهذا الاتِّصال أن يتحقَّقَ عبر الوحي، ويكون إمَّا بالإيحاء، وإمَّا يكون الاتِّصال بالكلام من وراء حجاب، أو بإرسال رسول يوحي لنبيِّه ما شاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى:٥١].

(١) الخصال: ١ / ١٠٢.

فلا بدَّ إذن من أنْ يتحقَّق الوحي بأيِّ صورة من الصُّوَر، وفي ذلك وردَ أنَّ الحارث بن هشام سأل النبيَّ صلى الله عليه وآله: كيف كان ينزل عليك الوحي؟ قال صلى الله عليه وآله: ((أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدُّ عليّ، فيفصم عنِّي وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثَّل المَلَكُ رجلًا، فيكلِّمني، فأعي ما يقول))[١].

وكان إذا نزل الوحيُ على رسول اللَّه صلى الله عليه وآله أخذته الغشية في بعض الأحيان، ففيما ((رواه زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام من أنَّه سُئِل عن الغشية التي تصيب النبيَّ صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي؟ فقال عليه السلام: ذلك إذا لم يكن بينه وبين اللَّه أحد؛ ذلك إذا تجلَّى اللَّه له))[٢].

ثالثًا: لابدَّ للنبيِّ أن يكون معصومًا؛ إذ إنَّ من أهمِّ القضايا التي كانت محلَّ نقاشٍ وجدالٍ بين علماء الإسلام هي مسألة عصمة الأنبياء، فما عليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام أنَّ النبيَّ معصوم قبل البعثة وبعدها، وهو ما نعتقد ونؤمن به، أمَّا الرؤية الأخرى فهي لا تنسب العصمة إلى النبيِّ قبل البعثة؛ بل تختزلها بعد البعثة فقط.

أمَّا قبل البعثة فشأنه شأن أيِّ إنسان آخر يفعل من الذنوب ما تميل إليه نفسه وهواه، وقد ألَّف في هذا المجال من علماء مدرسة أهل البيت السيِّد المرتضى (قدس) كتابه تنزيه الأنبياء؛ اشتمل على مجموعةٍ من الردود على الشُّبهات التي أُثيرت حول أنبياء اللَّه تعالى بوصفهم بعدم العصمة واقتراف الذنوب والخطايا.

فكما في جواب الإمام الرِّضا عليه السلام لمن نسب المعصية إلى آدم عليه السلام قال: ((ويحك يا عليّ، اتَّقِ اللَّه، ولا تنسب إلى أنبياء اللَّه الفواحش، ولا تتأوَّل

(١) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٤١.

(٢) التوحيد: ١١٥.

كتاب اللَّه برأيك، فإنَّ اللَّهﷻ يقول: ((﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، أمَّا قولهﷻ في آدمعليه السلام: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه:١٢١] فإنَّ اللَّهﷻ خلق آدم حجَّة في أرضه، وخليفته في بلاده، لم يخلقه للجنَّة، وكانت المعصية من آدم في الجنَّة لا في الأرض؛ لتتمَّ مقاديرُ أمر اللَّهﷻ، فلما أُهبط إلى الأرض وجُعل حجَّة وخليفة عُصِمَ بقولهﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٣٣]))[١].

وفي قصَّة أيُّوبعليه السلام وما نُسِبَ إليه من الذنب يقول الإمام الباقرعليه السلام: ((إنَّ أيُّوب ابتُلِيَ من غير ذنب، وإنَّ الأنبياء لا يذنبون؛ لأنَّهم معصومون مطهَّرون، لا يذنبون ولا يزيغون، ولا يرتكبون ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا))[٢]، ومنه أيضًا ما رواهُ الترمذيّ عن العبَّاس قال: ((قال رسول اللَّهﷺ: إنَّ اللَّه خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثمَّ تخيَّر القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثمَّ تخيَّر البيوت، فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرُهُم نفسًا وخيرُهُم بيتًا؛ أي: ذاتًا وأصلًا))[٣]، وقال عليعليه السلام: ((ولقد قرن اللَّه به من لدن أن كان فطيمًا أعظم مَلَكٍ من ملائكتهِ يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره))[٤].

فلو جاز للنَّبيِّ أنْ يفعل المعصية، أو يأتي الخطأ، أو يطرأ عليه النسيان وصدر منه ذلك، فيكون الأمر على صورتين: إمَّا أنَّه يجب اتِّباعه فيما صدر منه من خطأٍ ومعصيةٍ، وإمَّا أنَّه لا يجب اتِّباعه في ذلك، فإن وجب الاتِّباعُ

(١) بحار الأنوار: ١١/ ٧٢.
(٢) الخصال: ٢ / ٤٠٠.
(٣) سنن الترمذي: ٥ / ٤٣٣.
(٤) نهج البلاغة: ٢/ ٨٢.

كان ذلك بحكم من أجاز فعل المعاصي؛ بل وجوب ذلك، وبذلك فلا عبرة بأن يعاقبنا اللَّه على فعلها، وهذا باطلٌ بضرورة الدِّين والعقل.

وإنْ لم يجب اتِّباعه فهذا يتنافى وعقيدة النبوَّة التي من ضروريَّاتها هو الاقتران بالطاعة وبصورة مطلقة، في كلِّ قولٍ أو فعلٍ أو إقرارٍ، وبذلك لا عبرة بالبعثة؛ إذ انتفى الغرض منها، ويصبحُ النَّبيُّ كسائر الناس، فلا قيمة لما يصدر منه من قول وما يبديه من علم.

وبذلك تعيَّن أنَّه لابدَّ من أنْ يكون النبيُّ فيه سمة العصمة ليس بعد البعثة فحسب، بل قبل البعثة كذلك؛ لكي لا يكون محلًّا للسخريَّة والتنكيل به من قبل الناس المعاندين له ولدعوته، كذلك فإنَّ الدين الذي يأتي به النبيُّ هو نورٌ من اللَّه فلابدَّ من أنْ يتجسَّد في شخص النبيِّ ويطبِّقه على نفسه أوَّلًا؛ ليكون مؤهَّلًا أن يمليه على الناس.

رابعًا: لا بدَّ من أن يكون له معجزة: فالقرآن الكريم يروي لنا الصورة التي جُوبِه بها أنبياء اللَّه من أقوامهم، ومن شدَّة تلك المواجهة والرفض لدعوى أنبياء اللَّه تعالى أنَّهم كانوا يطالبونهم بأمور خارقة للعادة ومعجزة حتَّى غدت المعجزة إحدى عناصر نبوَّة النَّبيِّ، وقد منح اللَّه أنبياءه كلَّ الإمكانيَّات المعجزة، والملاحظ من قصص القرآن الكريم أنَّ كلَّ المعجزات كانت تنتهي بهلاك تلك الأمم، فنوحٌ عليه السلام عندما أنشأ تلك السفينة بحدِّ ذاتها كانت تمثِّل معجزة، وما تلاها من وقوع العذاب كان يمثِّل معجزة كبرى، كذلك نبيّ اللَّه صالح عليه السلام بما جاء به من معجزة الناقة، وقد كان بها هلاك قومه، وكذا موسى عليه السلام وما جاء به من معجزات حتَّى نعتوه بالسحر، فكان هلاك فرعون ومن معه نتيجة تكذيبهم لتلك المعجزات، كذلك عيسى عليه السلام، أمَّا معجزة النَّبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله فهو القرآن الكريم فعلى الرغم من أنَّ تكذيبه ماضٍ

لوقتنا هذا إلَّا أنَّ اللَّه أمهلَ أمَّة نبيِّهِ بأن لا يستعجلهم العذاب؛ بل يؤخِّرهم إلى الآخرة، ويجيب الإمام الرضا عليه السلام العالم ابن السكِّيت وهو من علماء العربيَّة عندما سأله: ((لماذا بعث اللَّه موسى بن عمران بيده البيضاء والعصا وآلة السحر، وبعث عيسى بالطبِّ، وبعث محمَّدًا صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب؟ فأجابه: إنَّ اللَّه تبارك وتعالى لمَّا بعث موسى كان الغالب على أهل عصره السحر، فآتاهم من عند اللَّه بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجَّة عليهم، وأنَّ اللَّه بعث عيسى في وقت ظهرت فيه العاهات واحتاج الناس إلى الطبِّ، فآتاهم من عند اللَّه بما لم يكن عندهم مثله، إذ أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن اللَّه، وأثبت به الحجَّة عليهم، [طبعًا كانت مهنة الطبِّ والطبابة رائجة كثيرًا]، وأنَّ اللَّه بعث محمَّدًا صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام، فآتاهم من كتاب اللَّه ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم، وأثبت الحجَّة عليهم، فحينما سمع ابن السكيت هذا الكلام قال: تاللَّه ما رأيت مثل اليوم أو تاللَّه ما رأيت مثلك اليوم قطّ))[1].

المحور الثالث: النبوَّة الخاتمة:

إنَّ مبدأ الخاتميَّة من المبادئ التي يعتقد بها المسلمون كافَّة، فالرسول محمَّد صلى الله عليه وآله هو خاتم أنبياء اللَّه ورسله، وقد جاء القرآن الكريم مصرِّحًا بذلك، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٠]، وعن ((أيُّوب بن الحُرِّ، قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ، خَتَمَ بنبيِّكم صلى الله عليه وآله النَّبيِّين، فلا نبيّ بعده أبدًا، وخَتَمَ بكتابِكم الكُتُب، فلا كتاب بعده أبدًا، وأنْزل فيه تِبيَانَ

(١) بحار الأنوار: ١١/ ٧٠.

كلَّ شيء، وخلَقَكم، وخلقَ السَّماوات والأرضَ، ونَبَأَ ما قَبلَكم، وفَصْلَ ما بَينِكُم، وخبرَ ما بَعدكم، وأمر الجنَّة والنَّار، وما أنتم صائِرون إليه))[1].

وفي حديث المنزلة المشهور والصحيح عند الفريقين دلالةٌ واضحة على خاتميَّةِ النَّبيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله للرِّسالات السماويَّة، عندما ((خرج النبيُّ صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك، وخلَّف عليًّا عليه السلام مكانه في المدينة: فبكى عليٌّ، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: أمَا ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنَّه ليس بعدي نبيٌّ))[2]، فقوله صلى الله عليه وآله فيه دلالة واضحة أن لا نبيَّ بعده في باب النبوَّةِ، وهنا جاءت (لا) النافية للجنس في هذا المقام؛ لتنفي ورود جنس نبيٍّ بعد النّبيِّ الخاتم صلى الله عليه وآله.

وفيما روي عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله قوله: ((أيُّها الناس، لا نبيَّ بعدي ولا أمَّة بعدكم))[3]، وقوله في محلٍّ آخر: ((أيُّها النَّاس إنَّه لا نبيَّ بعدي، ولا سُنَّة بعد سُنَّتي))[4]، إنَّ ختمَ النبوَّة لا يعني انقطاع سبيل الهداية وفك ذلك الارتباط بين الأرض والسَّماء، فاللَّه تعالى كافل الهداية لعباده، فقد جعل له تعالى جنودًا عبادًا أولياء صالحين، علماء وفقهاء أخذوا على عاتقهم خدمة الإسلام، وخدمة الشريعة، وبيان باب الهدى لعباد اللَّه، والأخذ بأيديهم إلى سبيل الرَّشاد.

لقد اهتمَّ علماء الكلام اهتمامًا كبيرًا بمبحث الخاتميَّة لما له من أهمِّيَّة كبيرة، وما يتمتَّعُ به من تأثير في عقيدة الفرد المسلم، فعدم الاعتقاد بخاتميَّة النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله يترتَّبُ عليه مفاسد عقديَّة كبيرة تصل إلى ادِّعاء النبوَّة والكفرِ بالإسلام، وهذا ما حصل بعد رحيل النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله؛ إذ ظهرت شخصيَّات

(١) الكافي: ١/ ٢٩٧.
(٢) بحار الأنوار: ٣٧/ ٢٥٤.
(٣) وسائل الشيعة: ١ / ١٥.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ١٦٣.

ادَّعت النبوَّةَ، وإلى اليوم نلحظُ أشخاصًا يظهرون بين الحين والآخر يدَّعون النبوَّة، فضلًا عن ذلك أنَّ المُتتبِّع للموروث الرِّوائي لكلا المدرستين السنِّيَّة والشيعيَّة يجد أنَّ فيه تأكيد هذا الجانب، وضرورة الاعتقاد بخاتميَّة رسالة النبيِّ محمَّدﷺ، فممَّا أورده البخاري في صحيحه قول رسول اللَّهﷺ: ((إنَّ مَثَلِي وَمَثَل الأنبياء من قبل، كمثَل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله، إلَّا موضع لَبِنَةٍ من زاوية، فجعل الناسَ يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وضعت هذه اللَّبنة؛ قال: فأنا اللَّبنة، وأنا خاتم النبيين))[1]، وقال الإمام عليٍّ عليه السلام في النهج: ((إلى أَنْ بَعَثَ اللَّه مُحَمَّدًاﷺ لإنجاز عِدَته، وتمام نُبُوَّته، مأخوذًا على النبيِّين ميثاقُه، مشهورةً سِماتُه، كريمًا ميلادُه))[2].

إنَّ الحكمة من ختم النبوَّةِ قائمٌ على أنَّ الإنسانيَّة عندما بدأت كانت تمرُّ بمرحلة تماثل المراحل العمريَّة التي يمرُّ بها الإنسان، ففي الحقب الزمنيَّة الأولى كانت الإنسانيَّة تحتاج إلى بعثة الأنبياء والرسل؛ لأنَّها كانت تضارع مرحلة الطفولة، فلمَّا بلغت مرحلة النضج والإدراك تعيَّن أنْ يختم باب النبوَّة بالنبيِّ الخاتم؛ لأنَّها أصبحت تمتلك تلك الأهليَّة والقابليَّة للرِّسالةِ الخاتمةِ، وكانت هناك أرضيَّةٌ صالحةٌ تحتفظ بالرِّسالة الخاتمة على الرغم من كلِّ الأحداث التي مرَّت بها الأمَّة بعد رحيل رسول اللَّهﷺ، ويبدو واللَّه أعلم أنَّ المؤهِّل الأكبر في تحقُّقِ تلك الخاتميَّة هو ذلك الوجود المبارك لأهل البيتعليهم السلام وشيعتهم، فبعث اللَّهعز وجل لهم النبيَّ الخاتم محمَّدًاﷺ، وأنزل عليهم رسالة الإسلام الحنيف التي خُتِمَت بها كلُّ الرسائل السابقة.

(١) صحيح البخاري: ٤ / ٢٢٦.
(٢) نهج البلاغة: ٤٤.

المبحث الثاني: الإمامة في القرآن الكريم من منظور أهل البيت عليهم السلام

لقد حوى القرآن الكريم سُبل النَّجاة للبشريَّة إذا ما اتَّخذته منهجًا وسبيلًا تقتدي به وتستنير بنوره، وأنَّ حركة التغيير التي قادها النبيُّ الخاتم محمَّد صلى الله عليه وآله تمثِّل مرتكزًا في تغيير التاريخ البشري، فعمد إليه أقطاب الضَّلال للإطاحة بهذا الجهد الكبير، وكانوا يظنُّون أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله سوف ينتهي ما جاء به بانتقاله إلى الملأ الأعلى؛ لأنَّهم كانوا لا يدركون أنَّ الحقيقة التي سوف تتجسَّدُ بعد النبوَّة هي الإمامة، وكان كلُّ ظنِّهم أنَّ الأمر منحصرٌ بالرئاسة أو الزَّعامة، فعمدوا إلى هذا المنصب فغصبوه من صاحبه وهم لا يدركون أنَّ الأمر أكبر من ذلك؛ حتَّى أحدثوا ما أحدثوا من تغيير في أحكام الدين، فعمدوا إلى مرويَّات الرسول صلى الله عليه وآله فجمعوها وأحرقوها، وغيَّروا بعض الأحكام بقوَّة النار والحديد، وشرَّعوا ما لم يكن في دين اللَّه وغيرها، وكلُّ ذلك ظنًّا منهم أنَّهم سوف يذيبون تعاليم الإسلام شيئًا فشيئًا حتَّى تنتهي وتضمَحِلَّ وينتهي هذا المشروع الإلهيّ.

الإمامة في القرآن الكريم:

الإمامة: هي ذلك المنهجُ الإلهيّ المخطَّط له، والسَّبيل المكمِّل للنبوَّة فعندما أمر اللَّه نبيَّه الخاتم بالتبليغ في أمر الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام قرنه بتبليغ الرِّسالة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:٦٧]، كانوا لا يدركون أنَّ إعداد النبيِّ الخاتم للإمامة في تسنُّم قيادة الأمَّة بهذا المستوى ظنًّا منهم أنَّ الأمر هو رئاسة، ولا يدركون أنَّ رئاستهم عند الإمام علي عليه السلام لا تعدل شسع نعل؛ ((قال عبد اللَّه بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه

النَّعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال: واللَّه لهي أحبُّ إليَّ من إمرتكم إلَّا أن أقيم حقًّا أو أدفع باطلًا))[١]. هذا المقدار من الوعي لم يكن حاصلًا للأمَّة عندما خنعت وسكتت على تولِّي غيره الخلافة، وهم يعلمون وقد سمعوا ذلك مرارًا من النَّبيِّ ﷺ أنَّ الأصلح هو الإمام عليٍّ عليه السلام، لقد كان أئمَّة أهل البيت عليهم السلام واعين لذلك الدَّور، وكان المشهدُ واضحًا أمامهم وضوحَ الشمس في رابعة النهار، ولكنَّهم كانوا لا يسبقون الأحداث، ولا يُحدِثونَ أمرًا قبل بلوغ أجله.

لقد نصَّ القرآن الكريم على الإمامة تصريحًا وتلميحًا، فصرَّح في مقام التصريح، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فقد نزلت إبَّان حادثة الغدير التي نصَّب بها النَّبيُّ ﷺ الإمام عليًّا عليه السلام خليفة وإمامًا للأمَّة، ففي تفسير الآلوسيّ: ((في عليٍّ حيث أمر اللَّه سبحانه أن يخبر النَّاس بولايته، فتخوَّف رسول اللَّه ﷺ أن يقولوا حابى ابن عمِّه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى اللَّه تعالى إليه، فقام بولايته يوم غدير خم، و أخذ بيده، فقال رسول اللَّه ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللَّهمَّ والِ من والاه و عادِ من عاداه))[٢].

وقال صاحب الميزان: ((إنَّ الآية تكشف عن حكم نازل فيه شوب انتفاع للنّبيِّ ﷺ، واختصاصه بمزيَّةٍ حيويَّةٍ مطلوبة لغيره أيضًا، يوجب تبليغه والعمل به حرمان النَّاس عنه، فكان النبيُّ ﷺ يخاف إظهاره، فأمره اللَّه بتبليغه وشدَّد فيه، ووعده العصمة من النَّاس وعدم هدايتهم في كيدهم إن كادوا فيه. وهذا يؤيِّد ما وردت به النُّصوص من طرق الفريقين؛ أنَّ الآيةَ نزلت في أمر ولاية عليٍّ عليه السلام، وأنَّ اللَّه أمرَ بتبليغها، وكان النبيُّ ﷺ يخاف أن يتَّهموه في ابن عمِّه ويؤخِّر تبليغها وقتًا إلى وقت، حتَّى نزلت

(١) نهج البلاغة: ٧٦.
(٢) روح المعاني: ٤/ ٢٨٢.

الآية فبلَّغها بغدير خم، وقال فيه: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه))[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[الأنبياء:٧٣] دلالةٌ على ما للأئمَّة من أثرٍ في هداية المجتمع، ويبدو كما هو ظاهر من النَّصِّ أنَّ مسألة الوحي غير منقطعة؛ بل هو امتداد إلهيٌّ يهبه لأنبيائه ورسله والأوصياءِ والأئمَّةِ والصالحين من عباده.

ويحصرُ النَّبيُّ مُحمَّدصلى الله عليه وآله مسألة الإمامة في أهل بيته، ويروي ذلك أمير المؤمنينعليه السلام لأبي الدرداء في بيان قوله تعالى فيقول: ((أيُّها النَّاس أتعلمون أنَّ اللَّه أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣] فجمعني رسول اللَّهصلى الله عليه وآله وفاطمةَ وحسنًا وحسينًا في كساء، فقال: اللَّهمَّ هؤلاء لحمتي وعترتي وثقلي وحامَّتي وأهل بيتي، فأذهب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا، فقالت أم سلمة: وأنا، فقال لها: وأنتِ إلى خير، إنَّما أُنزلَت فيَّ وفي أخي وابنتي فاطمة وفي ابنيَّ حسن وحسين، وفي تسعةٍ من ولد الحسين خاصَّة، ليس معنا أحدٌ غيرنا، فقام جلَّ القوم فقالوا: نشهد أنَّ أم سلمة حدثتنا بذلك، فسألنا رسول اللَّهصلى الله عليه وآله فحدَّثنا كما حدَّثتنا أم سلمة))[٢].

ومن الآيات التي تدلِّلُ على انحصار مسألة الإمامة في عليٍّعليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]، وتسمَّى آية الولاية، وقد نزلت بحقِّ عليٍّعليه السلام عندما تصدَّق بالخاتم وهو راكع، وهذه الحادثة تُعدُّ من الحوادث

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٦ / ٥٨.

(٢) مسند أبي يعلى: ١٢/ ٣١٤.

التي أجمع فيها علماء السُّنة والشيعة على بيانها في كتب التفسير، فقد روى ابن كثير في تفسيره من طريق سفيان الثوري، ((عن أبي سنان، عن الضحَّاك، عن ابن عبَّاس قال: كان عليُّ بن أبي طالب قائمًا يصلِّي، فمرَّ سائلٌ وهو راكع، فأعطاه خاتمه، فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾الآية))[١]، وهي ممَّا استدلَّت بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام على إمامة عليٍّ عليه السلام، والروايات في ذلك متواترة، فعن زرارة، والفضيل بن يسار، وبكير بن أعين، ومحمَّد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وأبي الجارود، جميعًا عن ((أبي جعفر عليه السلام قال: أمرَ اللَّه عزَّ وجلَّ رسوله بولاية عليٍّ وأنزل عليه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢] وفرض من ولاية أولي الأمر فلم يدروا ما هي؟ فأمر اللَّه محمَّدًا صلى الله عليه وآله أن يفسِّر لهم الولاية كما فسَّر الصلاة والزكاة والصوم والحجّ))[٣].

خصائص الإمامة في القرآن الكريم:

تختصُّ الإمامةُ في منظور أهل البيت عليهم السلام بخصائص تجعل منها ذلك المقام الإلهيّ، واللطف الربَّانيّ الذي جعله اللَّه سبيلًا مكمِّلًا للنبوَّة في هداية البشريَّة، والأخذ بيدها إلى برِّ الأمان؛ حيث رضا اللَّه تعالى، وقد نصَّ القرآن الكريم على جملة من هذه الخصائص يمكن الإشارة إلى أهمِّها في الآتي:

أوَّلًا: الإمامةُ جَعْلٌ إلهيٌّ:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤] فجعل

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣ / ١٣٨.
(٢) سورة المائدة: ٥٥.
(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٦ / ١٦.

اللَّه نبيَّه إبراهيم عليه السلام إمامًا بعد أن خاض جملةً من الاختبارات والابتلاءات التي بها أصبح مؤهَّلًا لينال مقام الإمامة؛ فالإمامة إذن جَعْلٌ إلهيٌّ لا يمكن للعبد أن يصل إليه إلَّا عبر التمحيص والنجاح والرِّضا في كلِّ ما يأتي من اللَّه تعالى، وهي ليست كالنبوَّةِ هبةٌ منه تعالى؛ بل مقامٌ لا يمكن الحصول عليهِ إلَّا بالفوز بمجموعةٍ من الامتيازات، هي من نتاج العبد وجهده الذي بذله في سبيل رضا اللَّه، وممَّا يؤكِّد مبدأ الجعليَّة الإلهيَّة للإمامة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[القصص: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[الأنبياء: ٧٣]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[السجدة: ٢٤].

ثانيًا: الإمامُ معصومٌ:

لابدَّ للإمام من أنْ يكون معصومًا من الخطأ، وكلُّ ما يشوب الحقيقة الإلهيَّة التي أرادها اللَّه أن تتحقَّق في الإنسان، ففي قولهِ تعالى: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤] دلالة واضحة على أنَّ العصمة من لوازم الوصول إلى مقام الإمامة؛ إذ إنَّ من أبرز مصاديق الظلم هو أن يتعرَّضَ العبد للمعصيةِ، أو يهمَّ بها، أو تحدِّثه بها نفسه، وهذا ممَّا لا يصلح أن يكون في مقام الإمامة، فعن الإمام الرضا عليه السلام قال: ((إنَّ الإمامة خصَّ اللَّه بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوَّة، والخلَّة مرتبة ثالثة وفضيلة، شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فقال الخليل عليه السلام سرورًا بها: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كلِّ ظالمٍ إلى يوم القيامة، فصارت في الصَّفوة))[1].

(١) معاني الأخبار: ٩٧.

والعصمةُ من الأمور التي لا بدَّ منها للإمام، فلا مجال للخطأ فهو محلٌّ للاقتداء والاهتداء، فلابدَّ أن تكونَ أفعاله وأقواله انعكاسًا لإرادة اللَّه في الأرض، وتجسيدًا لمنهج القرآن الكريم، وقد عبَّر النَّبيُّ الأكرم ﷺ عنها في قوله لعليٍّ عليه السلام: ((عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ يدور معه كيفما دار))[١]، فمدار الحقِّ عندما يكون مع عليٍّ عليه السلام.

ثالثًا: الإمام يكون هاديًا:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:٧]، جاء في تفسير هذا النصِّ ما رواه العيَّاشيُّ في تفسيره رفعه عن عبد الرحيم القصير قال: ((كنت يومًا من الأيام عند أبي جعفر عليه السلام فقال: يا عبد الرحيم، قلت: لبَّيك، قال: قول اللَّه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؛ إذ قال رسول اللَّه ﷺ: (أنا المنذرُ وعليٌّ الهادي)، فمن الهادي اليومَ؟ قال: فسكتُّ طويلًا، ثمَّ رفعت رأسي، فقلت: جُعلتُ فداك، هي فيكم توارثونها رجلٌ فرجلٍ حتَّى انتهت إليك، فأنت جُعلتُ فداك الهادي، قال: صدقت يا عبد الرحيم، إنَّ القرآن حيٌّ لا يموت، والآية حيَّة لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين، وقال عبد الرحيم: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: إنَّ القرآن حيٌّ لم يمت، وأنَّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشَّمس والقمر ويجري على آخرنا كما يجري على أوَّلنا))[٢]، ولو تتبَّعنا المعنى اللغويّ يسنده المعنى الاصطلاحي لمفهوم الهداية لوجدنا معناه: الدَّلالة والإرشاد والسُّلوك للبلوغ إلى الهدف المرجوِّ من مسيرة الإنسان في هذه الدنيا، والشواهد تثبت أنَّ المنهج الوحيد الذي أوصل نماذج من البشريَّة إلى هذا المقام هو ما اتَّخذه أهل البيت عليهم السلام

(١) المستدرك: ٣/ ١٢٤.

(٢) تفسير العيّاشي: ٢٠٣- ٢٠٤، وموسوعة أحاديث أهل البيت: ١٢ / ٨.

في إرشاد العباد، أمَّا السُّبل الأخرى فالتاريخ يروي لنا الأحوال التي كان عليها تلك الشخصيَّات التي تمثِّل ذلك الخطّ، فالهداية إذن منحصرة في خطِّ الأئمَّة عليهم السلام دون غيرهم؛ سواء كانت تلك الهداية تشريعيَّة أم تكوينيَّة، فعن أبي جعفر عليه السلام: ((في قول اللَّه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال: رسول اللَّه صلى الله عليه وآله المنذرُ، ولكلِّ زمانٍ منَّا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبيُّ اللَّه صلى الله عليه وآله، ثمَّ الهداة من بعده عليٌّ ثمَّ الأوصياء واحد بعد واحد))[1].

ومن صُوَر الهداية المتجسِّدة في أئمَّة أهل البيت عليهم السلام هو الاهتداء إلى ولايتهم والائتمام بهم واتِّخاذهم منهجًا؛ بوصفهم المنهج الإلهيّ المتجسِّد على الأرض، وقد دلَّت جملةٌ من الروايات على أنَّ الأئمَّة ينوِّرون قلوب المؤمنين بكلامهم ورشدهم، من قبيل: صحيحة أبي خالد الكابليّ قال: ((سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللَّه تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾[التغابن:٨] فقال: يا أبا خالد، النور واللَّه: الأئمَّة عليهم السلام... يا أبا خالد، لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم الذين ينوِّرون قلوب المؤمنين، ويحجب اللَّه نورهم عمَّن يشاء، فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها))[2].

وقصَّة الإمام الكاظم عليه السلام مع بِشْر الحافي تدخل في هذا الباب، فمن كلماته عند مروره من جنب داره الذي كان يعجُّ بالمجون والغناء، ولم يكن الكلام له بصورة مباشرة؛ بل عبر جاريته، فكانت نقطة في انقلاب بشر الحافي حتَّى غدا مثلًا في العبادة والتنسُّك[3].

(١) الكافي: ١ / ١٩٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣ / ٣٠٨.

(٣) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ٢/ ١٣١.

رابعًا: لزوم طاعة الإمام:

قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩]، لمَّا انماز الإمام بالعصمة والهداية، وأنَّ تنصيبه نصٌّ من اللَّه، كان لابدَّ من أن تكون طاعته لازمة لمن كان في عصره ممَّن يدين بدين الإسلام، فعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: ((ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه، وباب الأنبياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى، الطَّاعة للإمام بعد معرفته))[١]. ومن هذا النصِّ يتَّضح لنا معالم تلك الطاعة؛ فطاعة الإمام هي طاعةٌ لله تعالى، فإن كان العبد ملتزمًا بتعاليم اللَّه مسترشدًا بهدي القرآن متَّبعًا لأحكام اللَّه، ففي ذلك طاعة حقيقيَّة للإمام.

وعن أبي الصباح قال: ((أشهد أنِّي سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: أشهد أنَّ عليًّا إمامٌ فرض اللَّه طاعته، وأنَّ الحسن إمامٌ فرض اللَّه طاعته، وأنَّ الحسين إمامٌ فرض اللَّه طاعته، وأنَّ عليَّ بن الحسين إمامٌ فرض اللَّه طاعته، وأنَّ محمَّدَ بن عليٍّ إمامٌ فرضَ اللَّه طاعته))[٢]، فطاعة الأئمَّة هي فرض عين كما هو واضحٌ من دلالة النَّصِّ، فكما أنَّ طاعة النبيِّ واجبةٌ كذلك الحال فإنَّ طاعة الإمام أمرٌ واجبٌ، فعن أحمد بن محمَّد، عن محمَّد بن سنان، عن أبي خالد القمَّاط عن أبي الحسن العطَّار قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: ((أشركَ بين الأوصياءِ والرسلِ في الطاعةِ))[٣]. وقد حثَّ النبيُّ محمَّدٌ صلى الله عليه وآله على لزوم الطاعة للأئمَّة من بعده، وقرنهم بالقرآن الكريم، فكما أنَّ القرآن بما فيه من أحكام وأوامر ونواهٍ هي محلُّ طاعة من لدن المسلمين، كذلك الأئمَّةُ لا بدَّ من أنْ يكونوا محلَّ طاعة في كلِّ ما يصدر عنهم من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير،

(١) بحار الأنوار: ٢٣ / ٢٩٤.
(٢) الكافي: ١ / ١٨٦.
(٣) المصدر نفسه.

ففي الرواية المشهورة عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: ((إنِّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا: كتاب اللَّه وعترتي أهل بيتي، وأنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض))[1]. وقد صرَّحت الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكيَّة بطبيعة تلك النتائج التي تكون نتيجة للطاعة لهم عليهم السلام فقالت: ((فَجَعَلَ اللَّهُ... طاعَتَنَا نِظامًا لِلمِلَّةِ، وَإِمامَتَنَا أَمانًا لِلفُرْقَةِ))[2]. ويتَّضحُ من النَّصِّ أنَّ كلَّ ذلك كان بجعلٍ إلهيٍّ وإرادةٍ ربَّانيَّة؛ لأنَّه تعالى العالم بأنَّهم يمثِّلون ذلك الإرث الإلهي الحقيقي للإنسان الحقِّ الذي أراد اللَّه أن يكون خليفةً في الأرض.

والطاعة: عقدٌ بين الإمام وكلُّ مَن يدين بدين الإسلام، فنجد أمير المؤمنين عليه السلام يُجسِّد ذلك المعنى، فيُبيِّن ما له وما عليه من حقوق؛ فيقول: ((أيُّها الناس إنَّ لي عليكم حقًّا، ولكم عليَّ حقٌّ، فأمَّا حقُّكم عليَّ: فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم؛ كيلا تجهلوا، وتأديبكم؛ كيما تعلموا، وأمَّا حقِّي عليكم: فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطَّاعة حين آمركم))[3]، والنَّصُّ يوضِّحُ لنا مشهدًا من حالة الانسجام الذي توفِّره الطاعة للإمام، وبذلك يصنع لنا مجتمعًا متماسكًا لا يمكن للأعداء التمكُّن منه مهما بلغت قوَّتهم ومكرهم. وأنَّ طاعة الإمام هي صورةٌ من صور التربية التي توفِّر للمسلم حالة من العزِّ وحفظ الكرامة؛ لأنَّ الإمام أساس ثابت يصل بمنهج السماء، فالطاعة له طاعة لله تعالى، وأيّ كرامة وعزَّة هي أكثر من طاعة اللَّه، فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: ((وطاعة ولاة العدل تمام العزَّة))[4].

(١) وسائل الشيعة: ٢٧ / ٣٣- ٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩ / ٢٢٣.

(٣) نهج البلاغة: ١ / ٢٥١.

(٤) الكافي: ١ / ٢٠.

خامسًا: الإمامة خاتمة المنهج الإصلاحيّ على الأرض

إنَّ من بين أهمِّ السِّمات التي اتَّسمت بها الإمامة هو أنَّها تعدُّ الخاتمة للمنهج الإصلاحي على الأرض التي عبَّر عنها القرآن الكريم بصفة الوراثة، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[القصص:٥]، جاءت الروايات في بيان المراد من ﴿الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: هم الأئمَّة عليهم السلام، وهم مَن سيؤول لهم ميراث الأرض، وهو أمرٌ حتميٌّ الوقوع عندما يقومُ مهديُّ آل مُحَمَّد عليه السلام فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا، ويقطع دابر الكافرين ويستأصل جذور الغيِّ والشقاق والنفاق، فقد روي عن أبي الصباح الكناني، قوله: ((نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد اللَّه عليه السلام يمشي فقال: ترى هذا؟ هذا مِنَ الذين قال اللَّه عزَّ وجلَّ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾))[1]، وروي أيضًا عن المفضَّل بن عمر قال: ((سمعتُ أبا عبداللَّه عليه السلام يقول: إنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله نظر إلى عليٍّ والحسن والحسين عليهم السلام فبكى وقال: أنتم المستضعفون بعدي، قال المفضَّل: فقلتُ له: ما معنى ذلك يا ابن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله؟ قال: معناه أنَّكم الأئمَّة بعدي، إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يقول ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة))[2].

ونحن اليوم ندرك الدَّور الرِّيادي للحركة الإصلاحيَّة التي سيقوم بها الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف والتي تُعدُّ خاتمة الحركات الإصلاحيَّة في مسيرة البشريَّة؛ لذا فإنَّنا نتطلَّع لذلك اليوم الذي ينتظره الكثير من المستضعفين في الأرض؛ لتتمَّ الوراثة الحقَّة لمنهج السماء، فتتجسَّدُ أحكام اللَّه في الأرض، وتُطبَّقُ كما أراد وشاء تعالى على يده عليه السلام.

(١) مجمع البيان:١ / ٣٠٦.

(٢) معاني الأخبار: ٧٩.

نتائج البحث:

١. إنَّ النبوَّة مقامٌ إلهيٌّ اختاره اللَّه لمن خبرهم، فكانوا أهلًا لهذا المقام؛ لذا لم نجد نبيًّا اختاره اللَّه وقد تراجع عن منهجه أبدًا.

٢. إنَّ عقيدتي النبوَّة والإمامة قد ركَّز عليهما أهل البيت عليهم السلام، وعمدوا إلى بيانهما، وبيان كلِّ ما يتعلَّق بهما، وخاصَّة فيما يخصُّ النّصُّ القرآني.

٣. إنَّ النبوَّة مصطلح فيه إشارة إلى مقام إلهيٍّ في ضمن دائرة محدودة لمجموعة من الناس، وهو مقام اختيار وإرسال من قبل اللَّه تعالى إلى الناس؛ لأجل الإرشاد والنصح والإصلاح.

٤. إنَّ إطلاق مصطلح الإمامة بلا قيد يؤدِّي إلى صرف المعنى إلى الإمامة العظمى والولاية الكبرى، وكذلك الإمام المعصوم عليه السلام الذي نُصِّب من اللَّه تعالى إمامًا، وقدوة للناس، وطاعته مفترضة على العباد كافَّة.

٥. إنَّ الإمامة والنبوَّة صنوان لا يفترقان، والصنو هو قرين الشيء وملازمه، فالنبوَّة والإمامة بينهما حالة تلازم تكامليَّة؛ أي: ما بدأت به النبوَّة تكمِّله الإمامة.

٦. تختصُّ الإمامة في منظور أهل البيت عليهم السلام بخصائص تجعل منها ذلك المقام الإلهي، واللطف الربّاني الذي جعله اللَّه سبيلًا مكمِّلًا للنبوَّة في هداية البشريَّة، والأخذ بيدها إلى برِّ الأمان.

٧. لابدَّ للإمام أنْ يكون معصومًا من الخطأ، ومن كلِّ ما يشوب الحقيقة الإلهيَّة التي أرادها اللَّه أن تتحقَّق في الإنسان.

٨. تعدُّ الإمامةُ الخاتمةَ للمنهج الإصلاحي على الأرض، التي عبَّر عنها القرآن الكريم بصفة الوراثة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ (١١١١ هـ)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٢- بداية المعارف الإلهيَّة في شرح عقائد الإماميَّة، السيِّد محسن الخرازيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المشرَّفة.

٣- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ البصريّ (٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، منشورات محمَّد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.

٤- التوحيد، محمَّد بن علي بن بابويه القمِّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، تحقيق ونشر مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم.

٥- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمَّد الترمذيّ (٢٧٩ هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م.

٦- جمهرة اللغة، أبو بكر محمَّد بن الحسن بن دريد الأزديّ (٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٧- الخصال، الشيخ الصدوق، تحقيق: الشيخ أحمد الماحوزيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المشرَّفة.

٨- دلائل الإمامة، محمَّد بن جرير الطبريّ (الشيعي)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٣.

٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد اللَّه الحسينيّ الألوسيّ (١٢٧٠هـ)، المحقّق: علي عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

١٠- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، السيد محمد باقر الخوانساري (ت: ١٣١٣هـ)، تحقيق: إسماعيليان، أسد الله، دهاقانى (إسماعيليان) - ايران- قم، ط١٣٩٠١ هـ. ق

١١- سيرة الأئمَّة الاثني عشر عليهم السلام، الشيخ محمَّد اليعقوبيّ، دار الصادقين، النجف الأشرف، ط١، ١٤٣٤هـ.

١٢- صحيح البخاري، أبو عبد اللَّه، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ الجعفيّ، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانيَّة، بالمطبعة الكبرى الأميريّة، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ.

١٣- قَوَاعد المرام في علم الكلام، ميثم بن علي البحرانيّ، تحقيق: أحمد الحسينيّ، مكتبة آية اللَّه المرعشيّ النجفيّ، قم، ط٢، ١٤٠٦ هـ.

١٤- الكافي، الشيخ محمَّد بن يعقوب الكلينيّ (٣٢٩هـ)، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٣هـ.

١٥- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ البصريّ (١٧٠هـ) المحقّق: د مهدي المخزوميّ، د إبراهيم السامرائيّ، دار ومكتبة الهلال.

١٦- كمال الدين وإتمام النعمة، الشيخ الصدوق، تحقيق: السيِّد محمَّد كاظم الموسويّ، مؤسَّسة البعثة، قم.

١٧- لسان العرب، محمّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ (٧١١هـ)، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويّين، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٨- مجمع البحرين، العالم المحدّث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحيّ، التحقيق: سيِّد أحمد الحسينيّ، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفريّة.

١٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ (٥٤٨هـ)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥.

٢٠- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازيّ الشاهروديّ، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المشرَّفة.

٢١- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد اللَّه محمَّد بن عبد اللَّه الحاكم النيسابوريّ، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠.

٢٢- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميميّ (٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.

٢٣- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، تحقيق: محمَّد بن علي غفاري، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩م.

٢٤- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداوديّ، دار القلم، الدار الشاميَّة، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.

٢٥- مَنْ لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٦- مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر بن شهرآشوب المازندرانيّ، تحقيق وفهرسة: يوسف البقاعيّ، طبع ونشر: دار الأضواء، لبنان، بيروت.

٢٧- موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادي النجفيّ، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٨- موسوعة الفقه الإسلاميّ طبقًا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، مؤسَّسة دائرة المعارف، مؤسَّسة دائرة المعارف، ١٤٢٣هـ.

٢٩- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط١، ١٩٩٧.

٣٠- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٣١- وسائل الشيعة، الفقيهُ المُحْدِّثُ الشيخُ مُحَمَّدُ بن الحسن الحُرِّ العامليّ (١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُّراث.